الفصل الرابع
أغراض استخدام إن وإذا الشرطيتين في سورة التوبة

في هذا الفصل تبين الباحثة أغراض استخدام إن وإذا الشرطيتين في سورة التوبة بيانا صريحا كما يلي:

أ. أغراض استخدام إن الشرطية في سورة التوبة

قد ذكرت الباحثة أنّ حرف "إن" الشرطية من المسائل النحوية، ولكنها إذا قيدت بالفعل فلها أغراض كثيرة حواها البحث البلاغي كما ذكر في الإطار النظري السابق الذكر. فأرادت الباحثة أن تشرح تلك الأغراض في الآيات التالية من سورة التوبة:

١. وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣

هذه الآية تشرح عن إعلام من الله ورسوله بالبراءة من عهود المشركين إلى الناس جميعا. كما قال وهبة الزحيلي أن الله تعالى أكد الإعلام أو التبليغ فقال "فإن تبتم فهو خير لكم" أي فإن تاب المشركون عن الشرك فهو أنفع لهم في الدنيا والآخرة. وقول "وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله" أي وإن تولى المشركون عن الإيمان، وأعرضوا عن الإسلام، فأتي عذاب الله، فلن

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يلفتوا منه فإن الله محيط بهم، ومنزل عقابه عليهم، ولا طاقة لهم بحربه في الدنيا، ووعده لرسله وللمؤمنين بالنصر عليهم.[١]

بعد أن عرفت الباحثة شرح هذه الآية، أن الغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" الداخلة على الفعل "تبتم" و "توليتم" هو دليل على ما هو مشكوك، لأن المشركين لايجزمون بوقوع الشرط. كان المشركون يستطيعون أن يتوبوا أو ألا يتوبوا عن الشرك فهو أنفع لهم في الدنيا والآخرة. وكانوا يستطيعون أن يتولوا أو ألا يتولوا عن الإيمان، وأعرضوا عن الإسلام. وهذا الحال يدل على مشكوك فعل المشركين.

٢. فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥

المراد من هذه الآية عند وهبة الزحيلي أن الله يخبر المسلمين: إذا انقضت الأشهر الحرم التي حرم فيها القتل والقتال بين المسلمين والمشركين، وأجلناهم فيها، فلابد على المسلمين أن يقتلوهم في أي مكان وجدوا فيه، من حل أو حرم. فإن تابوا عن الكفر أو الشرك الذي حملهم على قتال المسلمين وعداوة المسلمين، ودخلوا في الإسلام بأن أعلنوا الشهادتين، وأقاموا حدوده، والتزموا أركانه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فللمسلمين أن خلوا سبيلهم، واتركوهم وشأنهم، واعلموا أن الله غفور لمن استغفره، رحيم بمن تاب إليه.[٢]

[١] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ١٠٣-١٠٤

[٢] المرجع نفسه، ص ١٠٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية دليل على ما هو مشكوك، لأن المشركين لايجزمون بوقوع الشرط. كما عرفنا أن المشركين إن تابوا عن الكفر أو الشرك، ودخلوا في الإسلام بأن أعلنوا الشهادتين، وأقاموا حدوده، والتزموا أركانه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فللمسلمين أن خلوا سبيلهم، واتركوهم. ولكنهم كانوا يستطيعون أن يفعلوا كلها أو ألا يفعلوها، لذلك هذا فعل المشركين يدل على الحال المشكوك.

٣. وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

هذه الآية تشرح أن أحدا من المشركين الذين أمر الله رسول الله بقتالهم إن طلب منه الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة، ليسمع دعوته واحتجاجه عليه بالقرآن، فأمِّنه وبيّن له ما يريد، وأمهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره، وإنما خاص كلام الله لأن معظم الأدلة فيه، ثم أبلغه مأمنه، معناه: فإن دخل في الإسلام نال خير الدارين، وإن لم يدخل في الإسلام فلا تقتله، فتكون قد غدرت به، ولكن أوصله إلى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله "ذلك بأنهم قوم لا يعلمون" أي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الإيمان والدلائل، فآمنهم حتى يسمعوا ويتدبروا ويعلموا.[٣]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" الداخلة على الفعل المحذوف المعلوم بوجود الفعل المفسر بعده " استجارك " تغليب غير من اتصف بالشرط على من اتصف به. فقد غلب الله المشركين الذين لايريدون أن يستجاركوا أي يطلبوا الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة على المشركين الذين استجاركوا.

[٣] أبو على الفضل الطبرسي، *مجمع البيان لعلوم القرآن*، الجزء الخامس، ص ١٥-١٦

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٤. كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨

المراد من هذه الآية كما قال محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير كيف يكون للمشركين عهد وحالهم هذه أنهم إن يظفروا بالمسلمين لا يراعوا فيهم أي المسلمين عهدا ولا ذمة، لأنه لا عهد لهم ولا أمان، أي يرضون المسلمين بالكلام الجميل إن كان الظفر للمسلمين عليهم أي وتمتنع قلوبهم من الإذعان والوفاء بما أظهروه، أي وأكثرهم ناقضون للعهد خارجون عن طاعة الله.[٤]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية هو توبيخ الفعل، لأن الله قد أنزل هذه الآية ليعبر فعل المشركين الذين لم يراعوا حلفا ولا قرابة ولا عهدا إن يظفروا بالمسلمين. وهذا فعلهم يدل على التوبيخ.

٥. فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١

هذه الآية تشرح عن مصير الكفار المشركين بعد إعلان عدواتهم للإسلام، فهم بين أمرين كما قال وهبة الزحيلي: أحدهما التوبة الصادقة عن الكفر ونقض العهد والصد عن سبيل الله أي إن تابوا عن شركهم بالله، وآمنوا بالله ربا وأحدا لا شريك له، وأقاموا الصلاة، أي أدّوها بشروطها وأركانها باعتبارها عماد الدين، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم الدالة على التكافل بين المسلمين وصدق الاعتقاد، إن فعلوا ذلك فهم إخوانكم أي إخوان المسلمين في الدين، لهم مالكم، وعليهم ما عليكم.[٥]

[٤] محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير*، الجزء الأول، ص ٤٨٦

[٥] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ١٢٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية دليل على ما هو مشكوك، لأن المشركين لايجزمون بوقوع الشرط. كما عرفنا أن المشركين إن تابوا عن الكفر أو الشرك، ودخلوا في الإسلام بأن أعلنوا الشهادتين، وأقاموا حدوده، والتزموا أركانه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فهم إخوان المسلمين في الدين، ولكنهم كانوا يستطيعون أن يفعلوا كلها أي التوبة وإقامة الصلاة أو ألا يفعلوها، لذلك هذا فعل المشركين يدل على الحال المشكوك.

٦. وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢

مع ذلك شرح الآية قبلها، هذه الآية تشرح مصير الكفار المشركين بعد إعلان عدواتهم للإسلام، فهم بين أمرين: والثاني القتال بعد نقضهم العهود أي إن نقض هؤلاء المشركون ما أبرم معهم من عهود، وطعنوا في دينكم، أي عابوا القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، واستهزؤوا بالمؤمنين، كما كان يفعل شعراؤهم وزعماء الكفر فيهم، فهم أئمة الكفر وقادته ورؤساؤه، فقاتلوهم قتالا عنيفا، إنهم لا عهود لهم ولا ذمة، لأنهم لما لم يفوا بها صارت كأن لم تكن، وذلك لتكون المقاتلة سببا في انتهائهم ورجوعهم عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال. وهذا من غاية كرم الله وفضله على الإنسان.[٦]

تستخدم "إن الشرطية" في هذه الآية لتوبيخ الفعل، لأن الله قد بين إلينا فعل المشركين توبيخا مثل هم نقضوا العهود وطعنوا في دين الإسلام أي عابوا القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، واستهزؤوا بالمؤمنين، كما كان

[٦] المرجع نفسه، ص ١٢٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يفعل شعراؤهم وزعماء الكفر فيهم، فهم أئمة الكفر وقادته ورؤساؤه. وكل فعلهم يدل على معنى التوبيخ.

٧. أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

المراد من هذه اللآية هذا حض وتحريض على قتال المشركين الناكثين أيمانهم وعهودهم، وذلك لأسباب ثلاثة ذكرها الله تعالى في هذه الآية: الأولى إنهم نقضوا عهودهم التي أقسموا عليها. والثانية إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة، فقد هموا بإخراج الرسول من مكة، أو حسبه حتى لايراه أحد، أو قتله بيد عصابة من أفراد القبائل ليذهب دمه هدرا. والثالثة بدؤهم بالقتال، إنهم بدؤوا بقتال المؤمنين يوم بدر، حين قالوا بعد العلم بنجاة العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه. وكذلك في أحد والخندق وغيرها. وبعد أن ذكر الله تعالى هذه الأسباب الثلاثة التي تستدعي الإقدام على القتال زاد أربعة أخرى: أولها تعداد موجبات القتال وتفصيلها، وثانيها التحميس بالإغارة والتحريك، وثالثها كون الله أحق بالخشية، ورابعها إن كنتم مؤمنين فالإيمان قوة دافعة على الإقدام. فهذه أمور تبعث على مقاتلة أولئك الكفار الناكثين.[٧]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية دليل على ما هو مشكوك، لأن المسلمين لايجزمون بوقوع الشرط. كما عرفنا أن المسلمين يخشون الناكثين بعهودهم، على الرغم أنهم قد عرفوا الله أحق أن يخشوه إن هم مؤمنين. وهذا فعل المسلمين يدل على الحال المشكوك.

[٧] المرجع نفسه، ص ١٢٨-١٢٩

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٨. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

في هذه الآية نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين، وإن كانوا في النسب الأقربين، فقال: "يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء" وهذا في أمر الدين، فأما في أمر الدنيا فلا بأس في مجالستهم ومعاشرتهم، لقوله سبحانه: "وصاحبهما في الدنيا معروفا" قال ابن عباس: لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة، فمنهم من تعلقت به زوجته، ومنهم من تعلق به أبواه وأولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة، فيتركون الهجرة لأجلهم، فبين سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب، وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبى أولى "غن استحبوا الكفر على الإيمان" أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان. قال الحسن: من توالى المشرك فهو مشرك، وهذا إذا كان راضيا بشركه "ومن يتولهم منكم" فترك طاعة الله لأجلهم، وأطلعهم على أسرار المسلمين "فأولئك هم الظالمون" نفوسهم والباحسون حقها من الثواب، لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها، لأن موضعها أهل الإيمان.[٨]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتوبيخ الفعل، كما فعل آباء المؤمنين وإخوانهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان، وآثروا الشرك على الإسلام حتى لايجوز على المؤمنين أن ينصروهم في القتال ويؤيدوهم الكفار لأجلهم أو يطلعوهم على أسرار المسلمين العامة أو الحربية. لذلك إن الله يستخدم إن الشرطية في هذه الآية لتوبيخ فعلهم.

[٨] أبو علي الفضل بن الحسن، *مجمع البيان*، الجزء الخامس، ص ٣١

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٩. قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤

هذه الآية تشرح عن أمر الله تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وطاعتهما والجهاد في سبيل الله، لأن الله تعالى مصدر جميع النعم، وملجأ لدفع كل الكروب والمحن. وكذلك حب الرسول واجب بعد محبة الله، لأن صاحب الفضل في إنقاذنا من الضلالة إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ولأنه القدوة الحسنة والمثل الأعلى للمؤمنين في تطبيق الشريعة والأخلاق. أما الجهاد إنه السبيل للحافظ على كرامة الأمة ومنعة البلاد واستقلالها، ومصالح الأفراد، وسبب للذود عن الحرمات والأموال والأعراض، وطريق لدفع العدوان وقمع الأطماع، وأساس لتوفير عزة الأمة ومجدها، وبدونه تكون المصالح العامة والخاصة مهددة بالزوال. وإن كان المؤمنون أحب ءاباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموال اقترفوها وتجارة يخشون كسادها ومساكن يرضونها من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله فانتظروا العقاب الآتي عاجلا أو آجلا.[٩]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتوبيخ الفعل، لأن الله يصور فعل المؤمنين، حينما المؤمنون أحب ءاباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموال اقترفوها وتجارة يخشون كسادها

[٩] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ١٥٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ومساكن يرضونها من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله. وهذا الحال يدل على معنى الشر.

١٠. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨

المراد من هذه الآيةكما قال محمد عبد السلام شمين إن المشركين ذو نجس، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم لايتطهرون ولايغسلون ولايجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم. أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها. فلا يحجوا ولايعتمروا كما انوا يفعلون في الجاهلية بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم، إن خاف المسلمون فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم على المسلمين. وإن الله سوف يغنيهم من فضله أي فأرسل السماء عليهم مدرارا، فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم، وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به، فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته، إن أوجبت الحكمة إغناء المسلمين وكان مصلحة لهم في دينهم والله عليم بأحوالهم وحكيم لايعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب.[١٠]

في هذه الآية أداتان الشرطيتان، والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" لتنزيل المخاطب منزلة الجاهل، إن الله يتزل المسلمين الذين خافوا

[١٠] محمود بن عمر، *الكشاف*، الجزء الثاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ص ٢٥٢-٢٥٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فقرا مترلة الجاهل. إن الله قد أعرفهم أن الله سوف يغنيهم من فضله وعطائه بوجه آخر، ويسر لهم موارد المعيشة والأزراق والمكاسب.

١١. إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩

المراد من هذه الآية إن لا يخرج المؤمنون إلى الجهاد مع رسول الله يعذبهم الله عذابا أليما موجعا، باستيلاء العدو عليهم في الدنيا، وبالنار المحرقة في الآخرة وقال ابن عباس: هو حبس المطر عنهم ويهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم، يكونون أسرع استجابة لرسوله وأطوع ولا تضروا الله شيئا بتثاقلهم عن الجهاد فإن سبحانه غني عن العالمين والله قادر على كل ما يشاء ومنه الانتصار على الأعداء بدونهم قال الرازي: وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث إنه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز.[١١]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتوبيخ الفعل، لأن فعل المؤمنين يقدر الفعل الشر. كما ذكر في الآية قبلها إذا دعوا إلى الجهاد في سبيل الله ولأعلاء كلمته، وتكاسلوا وملوا إلى الراحة وطيب الثمار والتفيؤ في الظلال فهذا ليس من شأن الإيمان الذي يدعوا إلى بذل النفس والمال في سبيل الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٢. إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ

[١١] أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع *البيان*، الجزء الخامس، ص ٤٩٨

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

في هذه الآية رغب الله المؤمنين في الجهاد ومناصرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال ((إلا تنصروه)) أي إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، حيث لم يكن معه أنصار ولا أعوان حين خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة، وأسند إخراجه إلى الكفار لأنهم ألجؤوه إلى الخروج وتآمروا على قتله حتى اضطر إلى الهجرة احد اثنين لا ثالث لهما هو أبو بكر الصديق حين كان هو والصديق مختبئين في النقب في جبل ثور حين سقول لصاحبه وهو أبو بكر الصديق تطمينا وتطييبا: لا تخف فالله معنا بالمعونة والنصر. فانزل الله السكون والطمأنينة على رسوله قواه بجنود من عنده من الملائكة يحرسونه في الغار لم تروها أنتم. جعل كلمة الشرك سافلة دنيئة حقيرة، أذل بها الشرك والمشركين وكلمة التوحيد "لا غله إلا الله" هي الغالبة الظاهرة، أعزّ الله بها المسلمين، وأذل الشرك والمشركين. والله قاهر غالب لا يغلب، لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة.[١٢]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتنزيل المخاطب منزلة الجاهل، المخاطب هو المؤمنون الذين لم ينصروا رسول الله. قد تقلد الله المؤمنين الذين لم ينصروا رسوله الجاهل، لأن الله ناصره ومؤيده، وكافيه وحافظه.

١٣. إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

[١٢] المرجع نفسه، ص ٤٩٨-٤٩٩

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

في هذه الآية ذكر الله تعالى نوعا من كيد المنافقين وخبث باطنهم، معلما نبيه صلى الله عليه وسلم بعدواتهم، فقال ((إن تصبك)) أي إن عرضت للمؤمنين في بعض الغزوات حسنة، أي فتح ونصر وغنيمة، كيوم بدر، ساءهم ذلك. وإن أصابتهم مصيبة، أي نكبة وشر وشدة كانهزام وتراجع في معركة، كما حدث يوم أحد، قالوا: قد اتخذنا ما يلزم من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم، واحترزنا من متابعته من قبل هذا الذي وقع، إذا تخلفنا عن القتال، و لم نتعرض للهلاك؛ لأنا متوقعون هذه الهزيمة، وانصرفوا إلى أهاليهم عن موضع التحدث والمفاخرة بآرائهم هذه، وهم مسرورون للنتيجة. والحسنة ما يسر النفس حصوله، والسيئة ما يسوء النفس وقوعه.[١٣]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية توبيخ الفعل، هو فعل المنافقين الذين عرضت للمؤمنين في بعض الغزوات حسنة، ساءهم ذلك. وإن أصابتهم مصيبة، قالوا: قد اتخذنا ما يلزم من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم، واحترزنا من متابعته من قبل هذا الذي وقع، إذا تخلفنا عن القتال، و لم نتعرض للهلاك.

١٤. وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

المراد من هذه الآية أن من المنافقين من يعيب على محمد ويطعن به في قسمة الصدقات وهي إما المغانم أو أخذ الصدقات من الأغنياء وهي أموال الزكاة المفروضة، قيل: هم المؤلفة قلوبهم كان يعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم للتأليف، وقيل: هو ابن ذي الخُويصِرة رأس الخوارج، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال

[١٣] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ٢٤٤

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

صلوات الله وسلامه عليه: ويلك أن لم أعدل فمن يعدل. وقيل: هو أبو الجواط من المنافقين قال: ألا ترون إلى صاحبكم؟ إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم، وهو يزعم أنه يعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أبا لك، أما كان موسى راعيا، أما كان داود راعيا؟ فلما ذهب، فال عليه الصلاة والسلام: احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون. ثم وصفهم اللّه تعالى بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم، لا للدين، وما فيه صلاح أهله لأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم، فضجر المنافقون منه. فقال تعالى ((فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا)) أي إن أعطوا من الزكاة أو من الغنائم ولو بغير حق رضوا، وإن لم يعطوا منها فاجؤوه أي رسول الله بالسخط، وإن لم يستحقوا العطاء، فهم إنما يغضبون لأنفسهم ولمنافعهم، لا للمصلحة العامة، فليس طعنهم أو نقدهم بريئا، ولكن لهدف خاص.[١٤]

في هذه الآية أداتان الشرطيتان، والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" الأولى والثانية توبيخ فعل المنافقين الذين يعيبون على محمد ويطعنون به في قسمة الصدقات. إن أعطوا من الزكاة أو من الغنائم ولو بغير حق رضوا، وإن لم يعطوا منها فاجؤوه أي رسول الله بالسخط، وإن لم يستحقوا العطاء، فهم إنما يغضبون لأنفسهم ولمنافعهم.

١٥. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

المراد من هذه الآية إن اللّه يخاطب المؤمنين مبينا لهم أن المنافقين يقدمون على حلف الأيمان الكاذبة لترضوا عنهم والله يعلم إنهم لكاذبون،

[١٤] المرجع نفسه، ص ٢٥٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وذلك يدل على أنهم شعروا بموقفهم الحرج، وظهور نفاقهم، وافتضاح أمرهم. يحلفون لكم معتذرين عما صدر منهم من قول أو فعل ليرضوكم ، والحال أن اللّه ورسوله أحق بالإرضاء من المؤمنين، وذلك يكون بالطاعة والوفاق والإيمان الصادق والعمل الصالح.[١٥]

استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية توبيخ فعل المنافقين، هم يقدمون على حلف الأيمان الكاذبة ليرضوا أي المؤمنون عنهم والله يعلم إنهم لكاذبون، وإن اللّه ورسوله أحق بالإرضاء من المؤمنين.

١٦. وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾

هذه الآية تشرح أن اللّه يقسم بأنه إن سألت المشركين أيها الرسول عن أقوالهم هذه وهزئهم، لاعتذروا عنها بأنهم لم يكونوا جادّين فيها، بل هازلين لاعبين خائضين في اللغو بقصد التسلي واللهو، فوبخهم اللّه وأنكر عليهم بقوله : أَبِاللَّهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ أي إن هذا ليس مجال استهزاء، ألم تجدوا ما تستهزئون به غير ذلك ؟ فإن الاستهزاء باللّه وآياته ورسوله كفر محض، وشر مستطير. والمراد بالاستهزاء باللّه : الاستهزاء بذكر اللّه وصفاته، وتكاليف اللّه تعالى. والمراد بآيات اللّه : القرآن وسائر أحكام الدين، والاستهزاء بالرسول معلوم كالطعن برسالته وتطلعاته وأخلاقه وأعماله.[١٦]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية توبيخ فعل المنافقين، هم هازلون لاعبون خائضون في اللغو بقصد التسلي واللهو، فوبخهم اللّه وأنكر عليهم.

---

[١٥] المرجع نفسه، ص ٢٨٨-٢٨٩

[١٦] المرجع نفسه، ص ٢٩٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١٧. لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

المراد من هذه الآية ليس قول المنافقين عذرا مقبولا، ولا تعتذروا أبدا بهذا أو بغيره، للتخلص من هذا الجرم العظيم ، فإنهم قد كفروا وظهر كفرهم، كما أظهروا إيمانهم، وتبين أمرهم للناس قاطبة. وقوله : لا تَعْتَذِرُوا على جهة التوبيخ ، كأنه يقول: لا تفعلوا ما لا ينفع. فإن يعف الله عن بعضهم لتوبتهم الخالصة كمخشّ بن حميّر، نعذّب طائفة أي جماعة أخرى لبقائهم على النفاق، وارتكابهم الآثام، وإجرامهم في حق أنفسهم وغيرهم، فتعذيبكم بسبب إجرامكم.[١٧]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية توبيخ الفعل، إن الله يصور فعل المنافقين بأنهم قد كفروا وظهر كفرهم، كما أظهروا إيمانهم، وتبين أمرهم للناس قاطبة حتى ليس قول المنافقين عذرا مقبولا.

١٨. يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

[١٧] المرجع نفسه، ص ٢٩٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

هذه الآية تشرح عن القرآن إنه يثبت للمنافقين الكذب الصريح واليمين الفاجرة، فهم يحلفون باللّه، إنهم ما قالوا كلمة الكفر التي رويت عنهم، و لم يذكر القرآن تلك الكلمة، ترفعا من ذكرها، ولئلا يردد المسلمون تلاوتها، ولكنهم قالوها. وكفروا بعد إسلامهم : معناه أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الإسلام. فإن يتوبوا من النفاق ومساوئ أقوالهم وأفعالهم، يكن ذلك خيرا لهم وأصلح، ويفوزوا بالخير، ويقبل اللّه توبتهم. والتوبة هي إخلاصهم الأيمان. والضمير يعود إلى الكفار والمنافقين. والتولي الإعراض والمراد به الإعراض عن التوبة. والعذاب في الدنيا عذاب الجهاد والأسر، وفي الآخرة عذاب النار. وجيء بفعل "يك" في جواب الشرط دون أ، يقال فإن يتوبوا فهو خير لهم لتأكيد وقوع الخير عند التوبة، والإيماء إلى أنه لا يحصل الخير إلا عند التوبة لأن فعل التكوين مؤذن بذلك. وإنه إن تولوا لم يجدوا من ينصرهم من القبائل إذ لم يبق من العرب من لم يدخل في الإسلام إلا من لا يعبأ بهم عددا وعددا. والمراد نفي الولي النافع كما هو مفهوم الولي وأما من لا ينفع فهو حبيب وودود وليس بالولي.[١٨]

في هذه الآية أداتان الشرطيتان، والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" دليل على ما هو مشكوك، لأن المشركين لايجزمون بوقوع الشرط. وفعل المشركين يدل على الحال المشكوك.

١٩. وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

المراد من هذه الآية بأن بعض المنافقين عاهد اللّه ورسوله : لئن أغناه اللّه من فضله ، ليصدّقن وليكونن من الصالحين الذين ينفقون أموالهم في

[١٨] محمد طاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، الجزء العاشر، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، مجهول السنة)، ص ٢٥٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

مرضاة اللّه ، كصلة الرحم والجهاد. فقوله ((لَنَصَّدَّقَنَّ)) إشارة إلى إخراج الزكاة الواجبة، وقوله ((وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) إشارة إلى إخراج كل مال يجب إخراجه على الإطلاق.[١٩]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية توبيخ الفعل، هو فعل المنافقين الذين عاهدوا الله ورسوله لئن أغناه اللّه من فضله ، ليصدّقن وليكونن من الصالحين الذين ينفقون أموالهم في مرضاة اللّه، وهم قد أعرضوا عهودهم عدة مرة.

٢٠. ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

هذه الآية تشرح قد أبان اللّه تعالى أن المنافقين كالكفار ليسوا أهلا للاستغفار، ولا ينفعهم الدعاء، فسواء استغفر لهم الرسول أو لم يستغفر لهم، فلن يستر اللّه عليهم ذنوبهم بالعفو عنها، وترك فضيحتهم بها، وإنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولن يعفو عنهم. وقد ذكر اللّه تعالى هنا سبب عدم قبول الاستغفار والدعاء لهم بقوله ((ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا)) أي إنهم كفروا وجحدوا باللّه ورسوله، فلم يقروا بوحدانية اللّه تعالى، و لم يعترفوا ببعثه النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم، وأصروا على الجحود والإنكار، فلم تعد قلوبهم مستعدة لقبول الخير والنور، وإن سنة اللّه ألا يوفق للخير القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة، الذين فقدوا الاستعداد للإيمان

[١٩] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ٣٢٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والتوبة. فاليأس من المغفرة وعدم قبول الاستغفار لهم ليس لبخل من اللّه، ولا قصور في النبي، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن المغفرة.[٢٠]

استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتنزيل المخاطب منزلة الجاهل. المخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله أعلم رسول الله لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولن يعفو عنهم، وبالرغم يستطيع رسول الله أن استغفر لهم.

٢١. فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

في هذه الآية يأمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بأنه إن ردك الله من سفرك هذا حين رجوعك من غزوة تبوك إلى طائفة من المنافقين المتخلفين، وكانوا كما ذكر قتادة اثني عشر رجلا، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى، فقل لهم تعزيرا وعقوبة : لن تخرجوا معي أبدا على أية حال، ولن تقاتلوا معي أبدا عدوا بأي وضع كان. ثم علل ذلك وبين سبب المنع بقوله ((إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ)) أي إنكم اخترتم القعود عني أول مرة، وتخلفتم بلا عذر، وكذبتم في أيمانكم الفاجرة، وفرحتم بالقعود، بل وأغريتم بالتخلف عن الجهاد، فاقعدوا أبدا مع الخالفين أي الرجال المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد.[٢١]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية الداخلة على فعل "استئذنوا" معطوف بفعل "رجع" توبيخ فعل المنافقين، قد اختروا القعود

[٢٠] المرجع نفسه، ص ٣٢٨

[٢١] المرجع نفسه، ص ٣٣٦

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

عن النبي أول مرة، وتخلفوا بلا عذر، وكذبوا في أيمانكم الفاجرة، وفرحوا بالقعود.

٢٢. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

في هذه الآية أعلمنا اللّه تعالى بأن أيمان المنافقين الكاذبة التي يحلفونها هي مجرد استرضاء لكم أي المؤمنين، لتستديموا في معاملتهم كأهل الإسلام. وإنكم إن رضيتم عنهم، فلا ينفعهم رضاكم، إذا كانوا في سخط اللّه وبصدد عقابه، بسبب فسقهم، أي خروجهم عن طاعة اللّه وطاعة رسوله، فليكن همهم إرضاء اللّه ورسوله، لا إرضاؤكم. وهذا إرشاد إلى منع المؤمنين من الرضا عنهم، والاغترار بأيمانهم الكاذبة، وكفى باللّه شهيدا، وكفى باللّه عليما ومعلما للمؤمنين طريق الاستقامة والصواب ومواقف الحزم والسداد.[٢٢]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يجر على مقتضى علمه. والمقصود هنا إن الله ينزل المؤمنين الذين يرضون عن المنافقين منزلة الجاهل، لأنهم قد عرفوا أن الله ينهى ليرضوهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين.

٢٣. فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

المراد من هذه الآية فإن تولوا أي أعرض المشركون والمنافقون عنك وعن الإيمان برسالتك والاهتداء بشرعك، فقل : حسبي اللّه، أي اللّه كافي في النصر على الأعداء. لا إله إلا هو، أي لا معبود سواه أدعوه وأخضع له، عليه

[٢٢] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء العاشر، ص ١٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

توكلت أي فوضت أمري إليه وحده، فلا أتوكل إلا عليه. وهو رب العرش العظيم، والعرش : سقف المخلوقات كلها في السموات والأرض وما بينهما، وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه.[٢٣]

والغرض البلاغي في استخدام "إن الشرطية" في هذه الآية لتوبيخ الفعل، كما نرى فعل المشركين والمنافقين، إنهم أعرض عن النبي صلى الله عليه وعن الإيمان برسالته والاهتداء بشرعه.

هذه هي أغراض استخدام "إن الشرطية" في سورة التوبة، كما اتضح في الجدول الآتي:

أغراض استخدام "إن الشرطية"		
الرقم	**رقم الآية**	**الآية**
دليل على ما هو مشكوك		
١.	٣	وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾
٢.	٥	فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

[٢٣] المرجع نفسه، ص ٩٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

		رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
.٣	١١	فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾
.٤	١٣	أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾
.٥	٧٤	يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
تنزيل المخاطب منزلة الجاهل		
.٦	٢٨	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾
.٧	٤٠	إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

		كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾
.٨	٨٠	ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾
.٩	٩٦	يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾
توبيخ الفعل		
.١٠	٨	كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾
.١١	١٢	وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾
.١٢	٢٣	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
.١٣	٢٤	قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

		فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾
١٤.	٣٩	إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
١٥.	٥٠	إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾
١٦.	٥٨	وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾
١٧.	٦٢	يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾
١٨.	٦٥	وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾
١٩.	٦٦	لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾
٢٠.	٧٥	وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
٢١.	٨٣	فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

		تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾
.٢٢	١٢٩	فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾
تغليب من اتصف بالشرط على من اتصف به		
.٢٣	٦	وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾
.٢٤	٧٤	يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾

ب.أغراض استخدام إذا الشرطية في سورة التوبة

فبعد عرض خصوصية من إذا الشرطية حان وقت الشروع في كشف الأغراض البلاغية في استخدام إذا الشرطية كما ذكرت الباحثة في الإطار النظري السابق الذكر. فأرادت أن تشرح تلك الأغراض في الآيات التالية في سورة التوبة:

١. فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥

المراد من هذه الآية عند وهبة الزحيلي أن الله يخبر المسلمين: إذا انقضت الأشهر الحرم التي حرم فيها القتل والقتال بين المسلمين والمشركين، وأجلناهم فيها، فلابد على المسلمين أن يقتلوهم في أي مكان وجدوا فيه، من حل أو حرم. فإن تابوا عن الكفر أو الشرك الذي حملهم على قتال المسلمين وعداوة المسلمين، ودخلوا في الإسلام بأن أعلنوا الشهادتين، وأقاموا حدوده، والتزموا أركانه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فللمسلمين أن خلوا سبيلهم، واتركوهم وشأنهم، واعلموا أن الله غفور لمن استغفره، رحيم بمن تاب إليه.[٢٤]

بعد أن عرفت الباحثة شرح هذه الآية، أن الغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" دليل على ما هو محقق الوقوع، لأن الأشهر الحرم مجزوم من الله تعالى.

٢. وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦

هذه الآية تشرح أن الله تعالى يذم فريقا ويمدح فريقا آخر، فيذم المتخلفين عن الجهاد ، مع القدرة عليه ، ووجود الثروة والغنى (أو السعة والطول) واستأذنوا الرسول في القعود. فكلما أنزلت سورة- والمراد بالسورة إما تمامها وإما بعضها ، كما يقع القرآن والكتاب على كله وبعضه- فيها الأمر بالإيمان والدعوة إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

[٢٤] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء التاسع، ص ١٠٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

استأذنك أولو الطول ، أي ذو الفضل والسعة ، وأولو المقدرة على الجهاد بالمال والنفس ، في التخلف قائلين : اتركنا مع القاعدين في بيوتهم من النساء والصبيان والعجزة والضعفاء ، وقوله تعالى : أَنْ آمِنُوا الأمر للمؤمنين باستدامة الإيمان ، وللمنافقين بابتداء الإيمان.[٢٥]

والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" دليل على ما هو محقق الوقوع، لأن مترلة السورة مجزوم من الله تعالى، ولا شك فيها.

٣. يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

المراد من هذه الآية أن هذا كلام مستأنف قصد به الإخبار عن المنافقين إذا رجع المؤمنون من تبوك إليهم ، أنهم يعتذرون إليكم أيها المؤمنون عن سيئاتهم وتخلفهم عن القتال بغير عذر إذا رجعتم إليهم من غزوة تبوك. قل لهم أيها الرسول : لا تعتذروا بالأعذار الكاذبة لأنا لن نصدقكم أبدا. والسبب في عدم تصديقكم أن اللّه قد أخبرنا سلفا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وأحوالكم : وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد ومناقصة الحقائق. وسيرى اللّه عملكم ورسوله ، أي سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ، ويعلم مستقبلكم من الإصرار على النفاق أو التوبة منه ، فإن تبتم فإن اللّه يتقبل توبتكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، وإن مكثتم فيما أنتم عليه من النفاق ، عاملكم

[٢٥] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص ٥١٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الرسول بما تستحقون. وفي هذا ترغيب لهم بالتوبة وإمهال لإظهارها وإصلاح شؤونهم.[٢٦]

والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" في هذه الآية والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" دليل على ما هو محقق الوقوع، لأن مترلة السورة مجزوم من الله تعالى، ولا شك فيها.

٤. سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾

أخبر اللّه تعالى عنهم أنهم سيؤكدون تلك الأعذار بالأيمان الكاذبة ، فقال ((سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ)) أي إنهم سيحلفون لكم باللّه معتذرين ، لتعرضوا عنهم ، فلا تعاتبوهم ولا تؤنبوهم على قعودهم مع الخالفين من النساء وأمثالهم. فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم ، احتقارا لهم لأنهم رجس أي قذر معنوي ، وخبث نجس بواطنهم واعتقاداتهم ، لا يقبلون التطهير ، وهذا علة الإعراض وترك المعاتبة. ومأواهم في آخرتهم جهنم ، جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام والخطايا. وهذا من تمام التعليل ، وكأنه قال : إنهم أرجاس من أهل النار ، لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة.

استخدام "إذا الشرطية" في هذه الآية لتتريل المخاطب مترلة الجازم الذي لا شك عنده. المخاطب هو المؤمنون، والله يترل المؤمنين مترلة الجازم لا شك عندهم لأن انقلاب المؤمنين إلى المنافقين مجزوم في صدر المؤمنين.

[٢٦] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء العاشر، ص ٩-١٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٥. وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

﴿١١٨﴾

في هذه الآية تاب اللّه أيضا على الثلاثة الذين خلّفوا أي تخلفوا عن الغزو لا بسبب النفاق ، وإنما كسلا وإيثارا للراحة والقعود. وخلفوا الغازين بالمدينة أي صاروا خلفاء للذين ذهبوا إلى الغزو وأرجئوا وأخروا عن المنافقين فلم يقض فيهم شيء ، وهم المرجون لأمر اللّه ، وهم كعب بن مالك الشاعر، وهلال بن أمية الواقفي الذي نزلت فيه آية اللعان ، ومرارة بن الربيع العامري، وكلهم من الأنصار. ووصف اللّه هؤلاء الثلاثة بصفات ثلاث هي : خلفوا عن التوبة حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها بالخلق جميعا، خوفا من العاقبة ، وجزعا من إعراض النبي صلى اللّه عليه وسلّم عنهم، ومنع المؤمنين من مكالمتهم ، وأمر أزواجهم باعتزالهم ، حتى بقوا على هذه الحالة خمسين يوما أو أكثر. ضاقت صدورهم بسبب الهم والغم ، ومجانبة الأحباء، ونظر الناس لهم بعين الإهانة. علموا واعتقدوا ألا ملجأ ولا ملاذ من غضب اللّه إلا بالتوبة والاستغفار ورجاء رحمته. ثم أنزل قبول توبتهم، ليرجعوا إليه بعد إعراضهم عن هدايته واتباع رسوله صلى اللّه عليه وسلّم. وهذه الأوصاف السابقة كانت دليلا على توبتهم وصدقهم في ندمهم.[٢٧]

[٢٧] المرجع نفسه، ص ١٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" في هذه الآية تغليب الجازم على غير الجازم. فقد غلب الله الجازم أي الأرض على غير الجازم أي المنافقين. والأرض التي ضاقت هي جازمة، وأما توبتهم غير جازم.

٦. وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤

هذه الآية تشرح إذا ما أنزلت سورة من سور القرآن وبلغت المنافقين، فمنهم من يقول لإخوانه أي يقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه السورة إيمانا ؟ أي تصديقا بأن القرآن من عند اللّه، وأن محمدا صادق في نبوته. و من المعروف أن الإيمان الصحيح: وهو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس، يزيد بنزول القرآن، ويتضاعف بسماعه سماع تدبر وإمعان، مما يدفع إلى العمل بما نزل فيه. وفي هذا دلالة واضحة على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب الأكثرين. فأجابهم اللّه تعالى عن حقيقة أثر القرآن: فأما المؤمنون فيزيدهم نزول القرآن يقينا وتصديقا وقوة دافعة إلى العمل به، وهم أي وحالهم أنهم يفرحون بنزول السورة لأنها تزكي أنفسهم، وترشدهم إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. قال الزمخشري في فَزادَتْهُمْ إِيماناً : لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر، أو فزادتهم عملا، فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل.[٢٨]

والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" في هذه الآية دليل على ما هو محقق الوقوع، لأن منزلة السورة مجزوم من الله تعالى، ولا شك فيها.

[٢٨] محمود بن عمر، الكشاف، ص ٣١٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٧. وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

المراد من هذه الآية إذا أنزلت سورة قرآنية على النبي صلى اللّه عليه وسلّم، والمنافقون جلوس عنده، تلفتوا وتغامزوا بالعيون وتهكموا لفساد قلوبهم، وعزموا على الهروب، قائلين: هل يراكم الرسول صلى اللّه عليه وسلّم أو المؤمنون إذا خرجتم ؟ ثم انصرفوا جميعا عن مجلس النبي صلى اللّه عليه وسلّم أي تولوا عن الحق، فهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه. صرف اللّه قلوبهم عن الحق والإيمان وعن الخير والنور. وهذا إما دعاء عليهم به أو إخبار عن أحوالهم. ذلك الصرف بسبب أنهم قوم لا يفهمون الآيات التي يسمعونها، ولا يريدون فهمها، ولا يتدبرون فيها حتى يفقهوا، بل هم في شغل عن الفهم ونفور منه.[٢٩]

والغرض البلاغي في استخدام "إذا الشرطية" في هذه الآية دليل على ما هو محقق الوقوع، لأن مترلة السورة مجزوم من الله تعالى، ولا شك فيها.

هذه هي أغراض استخدام "إذا الشرطية" في سورة التوبة، كما اتضح في الجدول الآتي:

أغراض استخدام "إذا الشرطية"		
الرقم	رقم الآية	الآية
دليل على ما هم مجزوم		

[٢٩] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، الجزء العاشر، ص ٩٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١.	٥	فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥
٢.	٨٦	وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦
٣.	٩٤	يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤
٤.	١٢٤	وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤
٥.	١٢٧	وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧
تنزيل المخاطب منزلة الجازم الذي لا شك عنده		
٦.	٩٥	سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

		يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾
تغليب الجازم على غير الجازم		
٧.	١١٨	وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id